الأغراض البلاغية للنداء في سنن الإمام أبي داود

إبراهيم ناجي عبد الجواد رسلان (*)

مقدمة

إذا كان النداء ينقسم باعتبار ذكر الأداة وحذفها إلى: نداء مذكور الأداة ونداء محذوفها، فإنه و قبل الشروع في بيان أغراض النداء لا بدَّ من الإشارة إلى أن النداء ينقسم باعتبار معناه إلى نداء حقيقي ونداء مجازي.(١) ولكلٍ أغراضه وأسراره البلاغية ، وهذا ما يحاول الباحث تجليته والكشف عنه من خلال هذا البحث.

فإن" الغرض البلاغي للتركيب الندائي يتحدد من خلال العلاقة التي تنشأ بين المنادِي والمنادَى مباشرة بعد إحداث التركيب اللغوي الندائي والتصويت به، فإن كان التعبير الندائي يحمل مقاصد واضحة وصريحة تُفْهَم من التركيب اللغوي نفسه للجملة الندائية من دون اللجوء إلى وسائل أُخْرَى خارجية، كان الغرض من النداء حينذاك أصليًا، وهو تنبيه المخاطب أي المُنادَى، وتهيئته لاستقبال ما يطلب منه. فيبقى المنادَى هنا مشدوهًا للمعاني التي تتبع النداء؛ لأنها هي المقصودة، أما الجملة الندائية هنا فدلالتها لا تتعدى التنبيه والتحضير، فهي هنا ذات وظيفة تنبيهية إشارية استحضارية . وقد ينزل البعيد منزلة القريب ، أو القريب منزلة البعيد، فيكون هذا التنزيل معنى زائدًا على المعنى الأصلي الذي هو التنبيه ولا يُعَدُّ هذا خروجًا بالنداء عن معناه الأصلي. أما إن كان التركيب الندائي يتضمن معاني خفية زائدة على المعنى الأصلي، ترتبط بالجوانب النفسية والشعورية والوجدانية، لكل من المنادِي والمنادَى، ويعتمد في الكشف عنها على القرائن المقالية والمقامية، كان النداء حينذاك خارجًا عن معناه الأصلي إلى أغراض بلاغية تفهم من السياق وهو المعبر عنه بلاغيًا بخروج النداء عن معناه الأصلي." (٢)

(*) باحث ماجستير بقسم اللغة العربية – كلية الآداب – جامعة سوهاج.
هذا البحث جزء من رسالة الماجستير الخاصة بالباحث بعنوان: "أسلوب النداء في سنن الإمام أبي داوود دراسة بلاغية"، تحت إشراف أ.د. بهاء محمد محمد عثمان – كلية الآداب – جامعة سوهاج & د. آمنة محمد فتح الله.

(١) النداء في اللغة والقرآن، د/ أحمد فارس،ص:٧٩، والنحو الوافي، د/ عباس حسن، جـ٤، ص:١

(٢) النداء في القرآن الكريم، مبارك تريكي ،ص: ٨٧ــ٨٨ــ٨٩

أولاً: النداء الحقيقي وأغراضه

النداء هو طلب المتكلم إقبال المخاطَب وتنبيهه بواسطة أحد أحرف النداء ملفوظاً كان حرف النداء أوملحوظاً.(١) والأصل في النداء أن يكون حقيقيًا، أي: يكون فيه المنادَى اسمًا لعاقل؛ كي يكون في استدعائه وإسماعه فائدة ؛لأن غاية النداء أن يصغي من تناديه إلى أمر ذي بال.(٢) هذا وإلى جانب شرط العقل في النداء الحقيقي لابد من تحقق شرط الحياة ، وألا يجاوز المنادَى امتداد صوت المنادِي(٣) حتى تتأتى منه الإجابة. هذا في شأن البشر العاديين، أما إن كان المنادِي هو الله جلَّت قدرته وعظُمت مشيئته فإن الأمر مختلف ؛ لأن الله ــ عز وجلَّ ــ له مطلق القدرة ينادِي ما يشاء من مخلوقاته ويقسم بما يشاء منها. و ــ أيضًا ــ إذا كان المنادِى هورسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فإن الأمر مختلف؛ لأن الرسل ليسوا بشرًا عاديين فقد أيدهم الله بالآيات واختصهم بالمعجزات، وأكرمهم على الله نبينا محمدــ صلى الله عليه وسلم ــ.

وقد يفيد النداء الحقيقي معانٍ أخرى إلى جانب طلب الإقبال، وتلعب أداة النداء الدور الأساس في توجيه النداء الحقيقي وفهم الغرض المسوق من أجله، وذلك بتناوب الأدوارحيث يمكن" استعمال أحرف النداء التي للبعيد في نداء القريب، لأحد غرضين: الأول: قصد التوكيد والمبالغة في طلب الالتفات والحث على زيادة الإقبال والإشارة إلى أن ما يُلقى للمخاطَب أمر عظيم من شأنه أن يُعنَى به غاية العناية وأن يهتم به كامل الاهتمام ، والثاني: تنزيل المخاطَب القريب حِسًا أو معنى منزلة البعيد إمَّا لسهوه أو نومه أوغفلته، وإمَّا للإشارة إلى بعد مكانته وعلوّ منزلته واستقصار المنادِى نفسه بالنسبة له، وإما للإشارة إلى بعده من نفس المتكلم أو انحطاط درجته عنه، وإمَّا العكس وهو نداء البعيد بما للقريب ... لتنزيل البعيد حسًا أومعنى منزلة القريب ، للإشارة إلى قربه من نفس المتكلم حتى كأن المتكلم يراه قريبًا وإن كان بعيدًا." (٤)

---

(١) شرح بن عقيل على ألفية ابن مالك ، جـ٣ ، ص: ٢٥٨، والنحو الوافي،جـ٤، ص:١

(٢) النحو الوافي،جـ٤، ص:٤، و رؤى في البلاغة العربية دراسة تطبيقية لمباحث علم المعاني، د/ أحمد محمود المصري

(٣) دلالات التراكيب، د/ محمد أبو موسى، ص: ٢٦١

(٤) مركب النداء في القرآن الكريم، محمد مشري، ص: ٥١

هذا ولم يرد في سنن أبي داود نداء البعيد بما للقريب ، وقد ورد نداء القريب بما للبعيد كثيرًا للأغراض سالفة الذكر، ولكي يتضح الغرض من النداء الحقيقي لابد من الوقوف على طبيعة العلاقة بين المنادِي والمنادَى من حُب و ودٍّ أوكره وبغض، وما إلى ذلك وكذلك الوقوف على نوع الأداة المستعملة . فمثلًا: كل نداءات الصحابة الكرام لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ والتي استعملوا فيها (يا) وهم حضورفي مجلسه الغرض منها الإشارة إلى بعد مكانته وعلوّ منزلته واستقصار أنفسهم بالنسبة له. وذلك ؛ لأن العلاقة بين الصحابة ورسولهم ــ صلى الله عليه وسلم ــ علاقة حب ومودة .

ويمكن الإشارة فيما يلي إلى أغراض النداء الحقيقي، وما قد تتشربه من معان أخرى غير المعني الحقيقي الذي جوهره التنبيه والاستحضار.

١.التوكيد والمبالغة:

ــ عَنْ مُعَاذِ[١] بْنِ جَبَلٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَ بِيَدِهِ، وَقَالَ: « يَا مُعَاذُ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ»، فَقَالَ: أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ...»(أبوداود ــ١٥٢٢)

أخذ النبي ــ صلى الله عليه و سلم ــ بيد معاذ بن جبل ــ رضي الله عنه ــ مؤانسة له وتلطفاً به وإظهارا لمحبته و في ذلك تهيئة نفسية للمخاطب لقبول النصيحة و العمل بها.

« يَا مُعَاذُ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ»

(يَا مُعَاذُ،) نداء في أصله للبعيد[٢] ، ومعاذ من رسول الله ــ صلى الله عليه و سلم ــ قريب للتنبيه و التوكيد على أهمية ما بعد النداء، فلا زالت يد معاذ في يد رسول الله ــ صلى الله عليه و سلم ــ ثم يعلن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ محبته لمعاذ مجاهراً بها، ومقسماً عليها و مكرراً القسم

(١) هو: معاذ بن جبل بن عمرو، أبو عبد الرحمن الأنصاري الخزرجي البدري شهد العقبة شابا أمردًا، أسلم وله ثمان عشرة سنة ، وتُوفي سنة ثمان عشر للهجرة، وهو ابن ثلاث، أو أربع و ثلاثين سنة. تهذيب السير، جـــ١ ، ص:٢١١ ، وما بعدها .

(٢) البرهان في علوم القرآن، للزركشي، جـــ٢، ص: ٤٢٥

والنداء. والتكرار من سمات الأسلوب النبوي في الخطاب. [١] وفي ذلك جملة من المؤكدات. ثم يعاود النبي ــ صلى الله عليه و سلم ــ النداء لمعاذ موصياً إياه بالمداومة على ذكر الله عقب كل صلاة بدعوات مخصوصة. فقد تكرر حرف النداء مرتين، ولم يأت هذا التكرار إلا لتفعيل الخطاب وتمكينه من نفس المخاطب لاستمالته واستدراجه إلى الانصياع لكلامه ــ صلى الله عليه وسلم ــ وهو يتوجه إليه بالنصح والإرشاد، ولا سيما إن الموعظة قد تكون ــ أحيانًا ــ ثقيلة على السامع لجنوح النفس إلى مخالفتها. [٢] وفي ندائه باسمه تعيين، وتقريب، ومحبة.

وقد أفاد النداء التوكيد والمبالغة في طلب الالتفات والحث على زيادة الإقبال والإشارة إلى أن ما يُلقى للمخاطب أمر عظيم من شأنه أن يُعنَى به غاية العناية وأن يهتم به كامل الاهتمام . وفيه إعلان عن محبته ــ صلى الله عليه وسلم ــ لمعاذ.

٣. تنزيل القريب حِسًا منزلة البعيد؛ لغفلته ولنومه:

ــ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ قَفَلَ مِنْ غَزْوَةِ خَيْبَرَ فَسَارَ لَيْلَةً حَتَّى إِذَا أَدْرَكَنَا الْكَرَى[٣] عَرَّسَ[٤]، وَقَالَ لِبِلَالٍ: «اكْلأْ[٥] لَنَا اللَّيْلَ» قَالَ: فَغَلَبَتْ بِلَالًا عَيْنَاهُ، وَهُوَ مُسْتَنِدٌ إِلَى رَاحِلَتِهِ فَلَمْ يَسْتَيْقِظِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا بِلَالٌ وَلَا أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ حَتَّى إِذَا ضَرَبَتْهُمُ الشَّمْسُ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَّلَهُمُ اسْتِيقَاظًا، فَفَزِعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «يَا بِلَالُ»، فَقَالَ: أَخَذَ بِنَفْسِي الَّذِي أَخَذَ بِنَفْسِكَ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَاقْتَادُوا رَوَاحِلَهُمْ شَيْئًا ثُمَّ تَوَضَّأَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمَرَ بِلَالًا فَأَقَامَ لَهُمُ الصَّلَاةَ وَصَلَّى بِهِمُ الصُّبْحَ...». (أبوداود ــ ٤٣٥)

---

(١) البيان النبوي د/ محمد رجب البيومي ، ص: ١٨٢، وما بعدها.

(٢) جماليات الأسلوب في النصوص الوعظية في العصر العباسي ، د/ علاء الدين محمد رشيد، كلية اللغات ــ قسم اللغة العربية، جامعة صلاح الدين، أربيل ، مجلة كلية الآداب، العدد ١٠٢، ص: ١٧٧

(٣) الكَرَى: النوم، كرى الرجل وتكَّرى نام. أساس البلاغة [كرى] جـ٢، ص: ١٣٣

(٤) عَرَّسَ : من التعريس وهو النوم والاستراحة بالليل، ومالي بأرض الهوان من مُعرَّس ساعة. السابق [عرس] جـ١، ص: ٦٤٢

(٥) اكْلأْ : من كلأت النجم متى طلع إذا رعيته . السابق، [كلأ] جـ٢، ص: ١٤٣

نام بلال ــ رضي الله عنه ــ عن صلاة الصبح فاستيقظ النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ فناداه بقوله: « يَا بِلَالُ ،» مستعملًا (يا) في نداء القريب والتي هي الأصل لنداء البعيد تنزيلاً للقريب حسًا منزلة البعيد لغفلته ونومه.

٣.الإشارة إلى بُعْد المكانة وعلوّ المنزلة:

ــ عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ (١)، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: « يَا رَسُولَ، اللَّهِ كَيْفَ الطُّهُورُ؟ فَدَعَا بِمَاءٍ فِي إِنَاءٍ فَغَسَلَ كَفَّيْهِ ثَلَاثًا، ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثًا، ثُمَّ غَسَلَ ذِرَاعَيْهِ ثَلَاثًا، ثُمَّ مَسَحَ بِرَأْسِهِ فَأَدْخَلَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّاحَتَيْنِ فِي أُذُنَيْهِ، وَمَسَحَ بِإِبْهَامَيْهِ عَلَى ظَاهِرِ أُذُنَيْهِ، وَبِالسَّبَّاحَتَيْنِ بَاطِنَ أُذُنَيْهِ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَيْهِ ثَلَاثًا ثَلَاثًا »، ثُمَّ قَالَ:« هَكَذَا الْوُضُوءُ فَمَنْ زَادَ عَلَى هَذَا أَوْ نَقَصَ فَقَدْ أَسَاءَ وَظَلَمَ – أَوْ ظَلَمَ وَأَسَاءَ –» (أبوداود ــ ١٣٥).

أتى رجل إلى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يسأله عن كيفية الوضوء، فأجابه بالفعل ؛ لأنه أبلغ من القول لقربه من الضبط، فدعا بماء في إناء فغسل كفيه ثلاثاً، ثم غسل وجهه ثلاثاً، ثم غسل ذراعيه أي: مع المرفقين ثلاثاً، ثم مسح برأسه مرة، وأدخل إصبعيه السباحتين، اليمنى واليسرى، وإطلاق السباحة على اليسرى مع أنه لا يُسَبِّحُ بها، إنما هو على التغليب ــ في أذنيه، أي: في صماخها، ومسح بإبْهامَيْه على ظاهر أذنيه، مما يلي الرأس، وبالسباحتين باطن أذنيه مما يلي الوجه، ثم غسل رجليه ثلاثاً ثلاثاً، ثم قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : هكذا يكون الوضوء أي: الكامل فمن زاد على هذا أو نقص فقد أساء. (٢)

« يَا رَسُولَ، اللَّهِ كَيْفَ الطُّهُورُ؟»

استهل الرجل خطابه للنبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالنداء مستعملاً (يا) في نداء القريب وهي في الأصل للبعيد؛ تعظيماً للنبي ــ صلى الله عليه

(١) عمرو بن شُعَيب بن محمد بن عبدالله بن عمرو بن العاص الحجازي السهمي. بذل المجهود ، جـ١، ص: ٣٣٤

(٢) بذل المجهود، تأليف الشيخ/ خليل السهارنفوري ، جـ١، ص: ٣٣٥

وسلم ــ وإقراراً له ببُعْد المكانة.[١] ونداؤه بوصفه (رسول الله) تشريفاً له وتوقيرا. ثم يأتي الاستفهام الحقيقي بعد النداء ، وهو المقصود منه، فكان الجواب درساً عملياً؛ لأنه أوضح للمُتَعَلِّم وأوقع في نفسه، وأثبت لفهمه. ولما كان المقام مقام استفهام لطلب حصول العلم اقتضى ذلك من السائل أن يضع من نفسه، ويعظم من شأن معلمه فيناديه بما للبعيد لاستبعاد مكانته، وأن يخاطبه بأجل الصفات وأحسنها.

٤.الإشارة إلى انحطاط المخاطَب وبعده من نفس المتكلم:

ــ عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مَسْعُود[٢] قالَ: مَرَرْتُ فَإِذَا أَبُو جَهْلٍ صَرِيعٌ قَدْ ضُرِبَتْ رِجْلُهُ فَقُلْتُ: يَا عَدُوَّ اللَّهِ، يَا أَبَا جَهْلٍ[٣]، قَدْ أَخْزَى اللَّهُ الْأَخِرَ. قالَ: وَلَا أَهَابُهُ عِنْدَ ذَلِكَ فَقَالَ : أَبْعَدُ مِنْ رَجُلٍ قَتَلَهُ قَوْمُهُ، فَضَرَبْتُهُ بِسَيْفٍ غَيْرِ طَائِلٍ، فَلَمْ يُغْنِ شَيْئًا حَتَّى سَقَطَ سَيْفُهُ مِنْ يَدِهِ، فَضَرَبْتُهُ بِهِ حَتَّى بَرَدَ. (أبوداود ــ ٢٧٠٩)

لقد كانت غزوة بدر الكبرى أول صدام مسلح بين صناديد الكفر من قريش، وطلائع الإيمان من المهاجرين والأنصار، قُتِلَ فيها الكثير من سادات قريش وكبرائها، وانتصر المسلمون نصراً عظيماً. فهذا أبو جهل أعْدَى أعداء الإسلام طريح الأرض، وقد أصيب في رجله، فلما رآه عبد الله بن مسعود أسرع إليه فضربه ضربةً غير مجدية مخاطباً له يا من عاديت الله بجهلك وحمقك، قد أذلك الله أيها البعيد، المتأخر عن الخير، فيستجمع أبو جهل قواه محاولا تهوين الخطب على نفسه، ودفعاً للشماتة قائلا له: إنك استعظمت

(١) الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، ص: ٣٨٣

(٢) عبد الله بن مسعود غافل بن حبيب الهُزَلِيّ ، أبو عبد الرحمن، أمه أم عبد بنت عبد ود بن سَواء من هُزيل أيضاً. كان إسلامه قديماً أول الإسلام، وهو أول من جهر بالقرآن في مكة ، وكان معروف بين الصحابة بصاحب السواد والسواك، هاجر الهجرتين، وصلى القبلتين، وشهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها، وهو الذي أجهز على أبو جهل ، مات ــ رضي الله عنه ــ بالمدينة سنة اثنين و ثلاثين، ودفن في البقيع، وكان عمره بضعاً وستين سنة. أُسد الغابة، ص: ٧٣٦،ما بعدها.

(٣) أبو جهل: هو عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي، كنيته أبو الحكم. كان من أشد الناس عداوة للإسلام ،كناه رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بأبي جهل، فبقيت عليه ونُسِي اسمه وكنيته، قُتِلَ يوم بدر. أُسْد الغابة ، ص: ٨٦٢

شأني، واستبعدت قتلي، ما أنا إلا رجل قتَلَه قومه. فضربه عبد الله بن مسعود حتى سقط سيفُ أبي جهل من يده، فأخذه عبد الله، فضربه به حتى مات. (١)

« يَا عَدُوَّ اللَّهِ، يَا أَبَا جَهْلٍ، قَدْ أَخْزَى اللَّهُ الْأَخِرَ. »

ينادي عبد الله بن مسعود ــ رضي الله عنه ــ عَمْراً بن هشام بوصفه (عدو الله)، وما أقبحه من وَصْف وما أخبث إنسان به موصوف،- ثم يكرر نداءه بكنيته(أبو جهل)، وما أقبحها من كنية، وقد كناه بها رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ لمَّا استبان له سبيل الحق، وسمع الآيات، ورأى بأم عينه المعجزات، فَخَمَّر َعقله، وأغلق سمعه، وأغمض بصره، وأعرض عن سبيل الرحمن، وسلك سُبُل الشيطان . ثم يعقب النداء جملة فعلية فعلها ماضٍ مسبوق بـــ (قدْ) التي تفيد مع الماضي التحقيق .(٢) للدلالة على تحقق الخزي والذل والهوان في حق من عادَى ربه وصَدَّ عن سبيله. ولمَّا كانت الحال للتشفي، والشماتة، وتبكيت المخاطَب وتقريعه، اقتضت نداءه بما للبعيد؛ لأنه عن الهدي والخير بعيد، ولِمَا في(يا) من تنبيه، وتوكيد، ونداؤه بكنيته(أبو جهل) للتحقير والتوبيخ و إشارة إلى انحطاط درجته وبعده من نفس المتكلم. فكأننا أمام قضية حتمية مفادها أحمق جاهل من ناصب ربه العداء، ومن كانت تلك حاله فإلى الخزي والهوان مصيره ومآله.

نـداء ما لا يعـقل :

عند الحديث عن نداء غير العاقل لا بد أن نضع نُصب أعيننا المنادِي، وأن نُوليه اهتمامًا وعناية ؛ لأننا عن طريق معرفة شخص المنادِي يمكن تحديد إن كان نداء غير العاقل حقيقة، أم مجاز. فعندما يكون المنادِي لغيرالعاقل بشرًا عاديًا فالنداء ــ حتمًا ــ مجازي ." فقد نُودى الحي غير العاقل من النوق والطير والوحش وغيرها، كما نُوديت مشاهد الطبيعة من برق وسحاب وأقمار وشموس وأشجار، وكذلك نُوديت القبور والفيافي والخرائب والأطلال

(١) عون العبود، للعظيم آبادي ، جـــ٧ ، ص: ٣٧٧

(٢) مغني اللبيب، لابن هشام الأنصاري، جـــ١، ص: ١٩٧، وكفاية المُعـــاني فـــي حـــروف المعاني، للشيخ عبد الله الكردي البيتوشي، ص:١٠٤

والديار".[١] وكل ذلك كان تعبيرًا عما يختلج في النفس من مشاعر وأحاسيس عبَّر عنها الشعراء بالنداء، فهي علي سبيل المجاز.

أما إن كان المُنادِي لغير العاقل ربُّ العزة سبحانه فالأمرمختلف، هذا وقد جاء في القرآن الكريم نداء الخالق ــ جلَّت قدرته ــ للأرض وللسماء، وللنار وللجبال. قال تعالى: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٢]، وقال: ﴿قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾[٣]وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ ﴾ [٤]

قال الزمخشري: " نداء الأرض والسماء بما يُنادَى به الحيوان المميز علي لفظ التخصيص والإقبال عليهما بالخطاب من بين سائر المخلوقات وهو قوله: (يا أرض) و (يا سماء) ثم أمرهما بما يُؤمر به أهل التمييز والعقل من قوله: (ابلعي ماءك) و(أقلعي) من الدلالة على الاقتدار العظيم وأن السماوات والأرض وهذه الأجرام العظام منقادة لتكوينه فيها ما يشاء غير ممتنعة عليه كأنها عقلاء مميزون قد عرفوا عظمته وجلالته وثوابه وعقابه وقدرته على كل مقدور، وتبينوا تحتم طاعته عليهم وانقيادهم، وهم يهابونه ويفزعون من التوقف دون الامتثال له والنزول على مشيئته على الفور من غير ريث فكما يرد عليهم أمره كان المأمور به مفعولًا لا حبس ولا إبطاء." [٥]حمل الزمخشري نداء الله للأرض وللسماء على المجاز مع إمكان حمله على الحقيقة، لأنه " إذا ورد كلام يكون محتملًا للحقيقة والمجاز جميعًا في موارد الشريعة، كان حملُه على حقيقته أحقَّ من حمله على مجازه، لأنها هي الأصل، والمجاز فرعٌ ." [٦]

---

(١) دلالات التراكيب، د/ محمد أبو موسى، ص:٢٦٢
(٢) سورة: هود، آية ٤٤
(٣) سورة:الأنبياء،آية ٦٩
(٤) سورة:سبأ، آية ١٠
(٥) الكشاف، للزمخشري، جـ٢، ص: ٢٧١
(٦) الطراز، للعلوي ، ص: ٢٢٤، والمدخل إلى دراسة بلاغة أهل السنة، د/ محمد بن علي الصامل

قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ (١)

ونوديت النار وهي ممالا يعقل كذلك إلا أنها أمرت بأن تستجيب لغير ما خُلقت له وهو الإحراق إلا أنها أجابت دعوة ربها وكانت بردًا وسلامًا على إبراهيم ــ عليه السلام ــ قال الزمخشري :" فإن قلتَ: كيف بَرَدَت النار وهي نار؟ قُلتُ : نزع الله عنها طبعها الذي طبعها عليه من الحر والإحراق وأبقاها على الإضاءة والإشراق والاشتعال كما كانت والله على كل شئ قدير... " (٢).

وفي نداء الله تعالي للجبال (يا جبال) " جعل سبحانه وتعالي الجبال من المخاطبين في كتابه العزيز حيث أسقط عليها التكاليف المكتوبة على بني الإنس إلا أنه أمرها بالتسبيح والترجيع بالذكر مع نبي من أنبيائه وهذا على الحقيقة لقوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (٣) " (٤)

فهذا النص يدل على أن التسبيح بحمد الله وعظمته جارعلى كل شئ دون تحديد العاقل منه أو الذي لا يعقل، وأما ما ذكره الزمخشري من أنه سبحانه وتعالى قد خلق فيها التسبيح لِتُؤوّب مع داود ــ عليه السلام ــ استجابة لأمر الله لإنفاذ المعجزة، فهذا التأويل يوافق مذهبه الاعتزالي(٥) فمن خاطب الأرض والسماء قادر على أن يخاطب غيرهم.

وقد نبه الإمام بن قتيبة (ت،٢٧٠هـ)(٦) ــ رحمه الله ــ على خطأ من قال بمثل الذي قال به الزمخشري، فقال:" وما في نطق جهنم ونطق السماء

---

(١) سورة فصلت، الآية: ١١

(٢) الكشاف للزمخشري بتعليق : خليل مأمون شيحا، ص: ٦٨٣

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٤٤

(٤) مركب النداء في القرآن الكريم، ص: ٥٤٤

(٥) المدخل إلى دراسة بلاغة أهل السنة، ص: ٥١، وينظر ترجمته، بغية الوعاة، جـ٢، ص: ٢٧٩

(٦) ابن قتيبة : أبومحمد عبد الله بن مسلم الدينوري، ولد بالكوفة ، وسمي الدينوري لأنه كان قاضي الدينور. كان صادقًا فيما يرويه عالمًا باللغة والنحو وغريب القرآن ومعانيه والشعروالفقه .ولد بمستهل رجب ، وتوفي سنة سبعين ومائتين ، من مصنفاته تأويل مشكل القرآن الكريم ، وأدب الكاتب. ترجمته: الفهرست لابن النديم، ص:١١٥، ١١٦

والأرض من العجب؟! والله تبارك وتعالى ينطق الجلود، والأيدي، والأرجل، ويسخر الجبال والطير بالتسبيح" [١].

ويميل الباحث إلى القول بأن: نداءات الله ــ جلَّت قدرته ــ للأرض، والسماء، والنار، والجبال حقيقة لا مجاز، وذلك للآتي :

أولاً: لأن الحقيقة هي الأصل والمجاز فرع عليها، وظاهر الخطاب يحتمل الحقيقة؛ لوجود قرائن لفظية وهي التصريح بلفظ القول، فلا يُتحول من الحقيقة إلى المجازما دام الخطاب يحتمل الحقيقة. على خلاف أمرالله تعالى للنحل في اتخاذ البيوت، قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ [٢]

ثانيًا: دلت الآيات صراحة أن الله خاطب السماوات والأرض، وعرض عليهن حمل الأمانة، فرفضن حملها ، وأنه ــ عزَّ و جلَّ ــ أمرهن أن يأتين طوعًا أوكرهًا فأتين طائعين، وإخباره سبحانه أن كل شئ يسبح له ولكن لا نفقه تسبيحهم .فالذي يسبح لله لا غرابة في ندائه على الحقيقة.

ثالثًا: أن تلك المناديات لبَّت النداء واستجابت للأمرالإلهي، فالأرض بلعت ماءها، والسماء أقلعت، والنار صارت بردًا وسلامًا، والجبال رجَّعت بالتسبيح. وفي ذلك دلالة على أنها سمعت النداء ووعت الأمر، وهذا هو المقصود من النداء حقيقة.

رابعًا: أن الله ــ عز وجل ــ قادرعلى أن ينادي ما شاء من مخلوقاته العقلاء، وغير العقلاء علي الحقيقة من غير تأويل، وأن تستجيب تلك المخلوقات حقيقة لا مجاز. فإثبات ما أثبته الله لنفسه من أسماء و صفات وأقوال وأفعال على ظاهرها دون تأويل أو تعطيل ــ هو معتقدنا أهل السنة.

وقد ورد في سنن أبي داود توجيه النداء لغير العاقل من الجمادات، وصدور النداء منها إلى الله ــ تبارك وتعالى ــ، وذلك في ثلاثة مواضع بيانها كما يلي

١ــ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ النَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَعِدَ أُحُدًا فَتَبِعَهُ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، فَرَجَفَ بِهِمْ فَضَرَبَهُ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرِجْلِهِ وَقَالَ: «اثْبُتْ أُحُدُ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ»(أبوداود ــ ٤٦٥١)

---

(١) تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة، ص: ١١٣، وينظر: ص ١٠٦

(٢) سورة النحل، الآية ١٦٨

صعد النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ جبل أحد فتبعه أبوبكر وعمر وعثمان، فرجف بهم، أي: تحرك الجبل بهم ، فضربه نبي الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ برجله وقال: اثبت أحد، بتقدير النداء، أي . يا أحد، فما عليك إلا نبي وصديق وشهيدان. وتَحَرُّك أحد بهم كان من المباهاة. [١]

«اثْبُتْ أُحُدُ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَان»

رجف أحد بالنبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ ؛ مباهاةً وفرحًا بأن وطئته أقدامه الشريفة ــ صلى الله عليه وسلم ــ فخاطبه بالنداء أن اثبت " ويحتمل أن يُراد المجازلكن، الظاهر الحقيقة، والله على كل شئ قدير." [٢] وقد صح عن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال لما رأى أحد: (هذا جُبَيْل يحبنا ونحبه.)"[٣] ويحتمل أن يكون المقصود بالنداء: " أهل الجبل، وهم الأنصار؛ لأنه لهم، فيكون مجازًا ....، ولامنع من حقيقته فلا حاجة إلى إضمار فيه، وقد ثبت أنه ارتج تحته فقال له: (اثبت أحد ...). وحَنَّ إليه الجذع اليابس حتى نزل فضمه، وقال: لو لم أضمه لَحَنَّ إلى يوم القيامة . وكلمه الذئب والجمل، وسلم عليه الحجر، وكلمه اللحم المسموم أنه مسموم فلا يُنْكَر حب الجبل له، وحب النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ إياه..." [٤]

وعليه فالراجح أن النداء على الحقيقة لاختصاص النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالمعجزات وخوارق العادات ، ويكون المقصود من النداء أن يهدأ الجبل ويستقر؛ ولذا قدَّم الأمر (اثبت) على النداء.

٢ــ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سَافَرَ فَأَقْبَلَ اللَّيْلُ قَالَ: «يَا أَرْضُ رَبِّي وَرَبُّكِ اللَّهُ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّكِ وَشَرِّ مَا فِيكِ، وَشَرِّ مَا خُلِقَ فِيكِ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَدِبُّ عَلَيْكِ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ أَسَدٍ وَأَسْوَدَ، وَمِنَ الْحَيَّةِ وَالْعَقْرَبِ، وَمِنْ سَاكِنِ الْبَلَدِ، وَمِنْ وَالِدٍ وَمَا وَلَدَ»(أبوداود ــ ٢٦٠٣)

يا أرض، ربي وربك الله، أي: هو المستحق أن يتعوذ به من شرك، أي: من شر ما حصل من ذاتك من الخسف والزلزلة و السقوط عن الطريق والتحير

---

(١) بذل المجهود، جـــ١٨، ص: ١٧٦، ١٧٧ ، وعون المعبود، جـــ١٢،ص: ٤٠٤

(٢) صحيح البخاري بشرح الكرماني، جـــ١ ، ص: ٢١٧

(٣) رواه البخاري، باب الزكاة ، حديث رقم:(١٤٨١)

(٤)عمدة القاري شرح البخاري، جـــ٩، ص: ٩٥

في الفيافي، وشرما فيك، أي: ما استقر فيك من الصفات والأحوال الخاصة، بطباعك كالحرارة والبرودة . وشر ما خُلق فيك من الهوام وغيرها. ومن شر ما يدَّب عليك، أي: يمشي ويتحرك من الحيوانات والحشرات مما فيه ضرر، من أسد وأسود، والأسود: الحية العظيمة. ومن الحية والعقرب تعميم بعد تخصيص. ومن ساكني البلد، قِيل هو الجن، والمراد بالبلد الأرض، ومن والد وما ولد يحتمل أن يكون المراد بالوالد إبليس والمولود الشياطين. وقِيل: هما عامَّان لجميع ما يوجد بالتوالد من الحيوانات. (١)

« يَا أَرْضُ رَبِّي وَرَبُّكِ اللَّهُ»

استعمل النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ (يا) في نداء الأرض؛ للتوكيد والمبالغة في امتداد الصوت في الفضاء، ولأهمية ما بعد النداء وهو الإقرار لله بالربوبية، والاعتراف له بعظيم الفضل والإحسان، والتعوذ به من شر الأرض وما يدب فيها من دواب ضارة سواء من هوام الأرض، أو من الإنس والجن. وكأنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ يريد إبلاغ الأرض رسالة مفادها: أيتها الأرض، إننا مخلوقين لخالق واحد هو الله الواحد، فلا ينبغي أن يؤذي بعضنا بعضًا.

٣ــ قَالَ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ(٢) لِابْنِهِ: يَا بُنَيَّ، إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَقُولُ: " إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ " يَا بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي»(أبوداود ــ ٢٦٠٣)

قال عبادة بن الصامت لابنه: يابني إنك لن تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك، سمعت

---

(١) عون المعبود، جـ٧، ص:٢٦٣، ومعالم السنن، للخطابي، جـ٣ ، ص:٥٦

(٢) عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم الأنصاري الخزرجي ، أبو الوليد، كان طويلًا جسيمًا جميلًا ، شهد العقبة الأولى والثانية ، وشهد بدرًا وأحد والخندق والمشاهد كلها ، كان ممن جمع القرآن على عهد رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وكان أول من ولي القضاء بفلسطين، توفي سنة أربع وستين بالرملة ، وقيل: بالبيت المقدس، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة. (أسد الغابة، ص: ٦٣٠، ٦٣١)

رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقول : إن أول ما خلق الله تعالى القلم فقال له: أكتب فقال القلم: ربِّ وماذا أكتب؟ قال الله عز وجل: اكتب مقادير كل شئ حتى تقوم الساعة، يا بني إني سمعت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقول: من مات على غير هذا الاعتقاد فليس مني. (١)

« رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ »

أمرالله القلم أن يكتب، فأجاب القلم ربه مناديًا ومستفهمًا«رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟» والنداء على الحقيقة؛ لطلب الفهم، والاستفسارعن المطلوب كتابته. وحذف حرف النداء للإيجازالملائم لمقام خطاب الألوهية، ولسرعة الوصول إلى المطلوب، وهو معرفة ماهية الكتابة؛ تعجلًا من المأمور؛ رغبة في تلبية الأمر الإلهي، وسرعة الانقياد، ورغبة في الإزعان والطاعة لله ــ عزوجلَّ ــ فيمأأمر. وهذا النداء على عكس ماسبق من نداءات مالا يعقل، فإن النداء ــ هنا ــ صادر مما لايعقل ومتوجه إلى الله، فكون الله ــ عزوجل ــ خاطب القلم، وأمره بالكتابة، فلاغرابة في أن يخاطبه القلم بالنداء مستفهمًا.

ثانيًا: النداء المجازي و أغراضه

وقد يخرج النداء عن المعنى الأصلي الموضوع له، فيُستَعْمَل لدى البلغاء وغيرهم في أغراض أُخرى غير النداء، وهذه الأغراض تُفهم من قرائن الحال، أو قرائن المقال، فكل حركة نفسية ذات مشاعر تَدفع الإنسان إلى التعبير عنها بنداء ما بطريقة تلقائية، ولو لم يشعر بأن هذا النداء يحقق له مرجوًا، أو مأمولًا، أو يدفع عنه مكروهًا.(٢)

١- الاختصاص:

الاختصاص لغة من: خص، قال الخليل:" ... ، وخَصَصْت الشيء خصوصاً، واخْتَصَصتُه. والخَاصَة، الذي اختصصتَهُ لنفسك." (٣)

(١) بذل المجهود، جـ١٨،ص:٢٢٧، ٢٢٨
(٢) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، جـ ١،ص:٢٤١
(٣) العين، جـ ٤،ص:١٣٤

ترتد بنية الاختصاص إلى السياق الداخلي، أو إلى التشكيل الصياغي ذاته حيث يحضرضمير يتبعه اسم ظاهرمسند إليه حكم يقصد به التخصيص، فتتحقق صورة النداء لكن ليس بنداء، فالمتكلم لا ينادي غيره، بل يتحدث عن نفسه.[١] وما جاء الاختصاص بلفظ النداء إلا لاشتراكهما في معنى الاختصاص؛ لأن المنادَى أيضًا مختص بالخطاب من بين أمثاله. ذكر سيبويه في باب ماجرى على حروف النداء وصفًا وليس بمنادَى ينبهه غيره ولكنه اخْتُصَّ كما أن المنادَى مختص من بين أمته لأمرك ونهيك أو خبرك، فالاختصاص أجرى هذا على حرف النداء. [٢]

ومن نماذج مجئ النداء لغرض الاختصاص في سنن أبي داود ما يأتي:

ــ عن كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ[٣]، قالَ: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قدِمَ مِنْ سَفَرٍ بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ، فَرَكَعَ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ» ... قالَ: «وَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُسْلِمِينَ عَنْ كَلَامِنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ». حَتَّى إِذَا طَالَ عَلَيَّ تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ وَهُوَ ابْنُ عَمِّي فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَوَاللَّهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ، ثُمَّ صَلَّيْتُ الصُّبْحَ صَبَاحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا فَسَمِعْتُ صَارِخًا يَا كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ أَبْشِرْ، فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي نَزَعْتُ لَهُ ثَوْبَيَّ فَكَسَوْتُهُمَا إِيَّاهُ، فَانْطَلَقْتُ حَتَّى إِذَا دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ، فَقَامَ إِلَيَّ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ يُهَرْوِلُ حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَّأَنِي. (أبوداود ــ ٢٧٧٣)

تخلف ثلاثة من أصحاب النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن غزوة تبوك ولم يكن لهم عزر، وكان منهم كعب بن مالك، وقد صدقوا النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ فوكل أمرهم إلى الله، ونهى الناس عن كلامهم خمسين ليلة، فتاب الله عليهم . [٤] وأنزل فيهم قرآنًا يُتلى، قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ

---

(١) رؤى في البلاغة العربية دراسة تطبيقية لمباحث علم المعاني المعاني ، ص:١٢٨

(٢) الكتاب، جـ ٢، ص:٢٣١، ٢٣٢، و المقتضب للمبرد: جـ ٣، ص:٢٩٨، ٢٩٩

(٣) كعب بن مالك بن أبي كعب الأنصاري الخزرجي ، يكنى أبا عبدالله، شهد العقبة ، وأحد ، تخلف عن غزوة تبوك لشدة الحر، وصدق مع رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ثم أنزل الله توبته ، توفي سنة أربعين.(أسد الغابة، ص: ١٠٤٢، ١٠٤٣)

(٤) عون المعبود، جـ٧، ص: ٤٦٢

عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (١)

«وَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُسْلِمِينَ عَنْ كَلَامِنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ»

فقوله: أيها الثلاثة، نداء خرج إلى معنى الاختصاص، والمراد نحن الثلاثة مختصين من بين الناس بالنهى عن كلامنا، وغرض الاختصاص ــ هنا ــ البيان والتوضيح.

٣.التعجب:

التعجب لغة من : "عجب: عَجِبَ عَجَباً، وأمرٌ عجيبٌ عَجَبٌ عُجاب. قال الخليل: بينهما فرق. أما العجيب فالعجب، وأما العُجابُ فالذي جاوز حدّ العجب، مثل الطويل والطُّوال. وتقول: هذا العجب العاجب، أي: العجيب. والاستعجاب: شدّة التعجب، وهو مُسْتَعْجِبٌ ومُتَعَجِّبُ ممّا يرى. وشيء مُعْجِبٌ، أي: حَسَن. وأعجبني وأعْجِبْتُ به. وفلان مُعْجَبٌ بنفسه إذا دخله العُجْبُ. وعَجَّبْتُه بكذا تعجيباً فعجب منه." (٢)

ويخرج النداء إلى معنى التعجب، والتعجب معناه: " تعظيم الأمر في قلوب السامعين ؛ لأن التعجب لا يكون إلا من شئ خارج عن نظائره و أشكاله".(٣) ويكون أسلوب التعجب بالنداء بأن ترى أمرًا تستعظمه فتنادي جنسه، قال سيبويه: " وقالوا:(يا لَلْعَجب)، و (يالَلْماء) لَمَّا رأوا عَجبًا، أو رَأوا ماءً كثيرًا، كأنه يقول: تعال ياعجب أو تعال يا ماء فإنه من أيامك وزمانك." (٤) وقال الجرجاني:" والتعجب كقولك، (يا لَلْماء)، كأنك ترى ماءً يعجبك فتناديه تقول : تعال حتى تُرى فإنك عجيب الشأن فلا يعرفك كل أحد".(٥)

---

(١) سورة التوبة، الآية :١١٨

(٢) العين، مادة:[عجب] ،جـ١، ص: ٢٣٥.

(٣) الكشاف،جـ٤، ص: ٩٧

(٤) الكتاب، جـ ٢،ص:٢١٧

(٥) كتاب المقتصد في شرح الإيضاح، جـ ٢،ص:٩٠ ٧

هذا وقد يكون سبب التعجب كلامًا يسمعه المتعجب من شخص لايُتَوقع منه ذلك.

ومن نماذج مجئ النداء لغرض التعجب في سنن أبي داود ما يأتي:

ــ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَيْبَرَ حِينَ افْتَتَحَهَا فَسَأَلْتُهُ أَنْ يُسْهِمَ لِي، فَتَكَلَّمَ بَعْضُ وُلْدِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ[١] ،فَقَالَ: لَا تُسْهِمْ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: فَقُلْتُ:هَذَا قَاتِلُ ابْنِ قَوْقَلٍ[٢]، فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ:«يَا عَجَبًا لِوَبْرٍ[٣] قَدْ تَدَلَّى عَلَيْنَا مِنْ قَدُومٍ ضَالٍ يُعَيِّرُنِي بِقَتْلِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ أَكْرَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى يَدَيَّ، وَلَمْ يُهِنِّي عَلَى يَدَيْهِ» (أبوداود ــ٢٧٢٤)

قدم أبو هريرة المدينة مسلمًا وكان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بخيبر حين فتحها ــ ، ثم طلب منه أن يعطيه من الغنيمة ، فقال أبان بن سعيد بن العاص لا تعطه يا رسول الله، فقال أبو هريرة ردًا عليه: هذا قاتل النعمان بن قوقل الأنصاري يوم أحد، فقال ابن سعيد بن العاص متعجبًا:(يَا عَجَبًا لِوَبْرٍ)،أي: لرجل كالوبر،(قَدْ تَدَلَّى عَلَيْنَا)، أي: تهجم علينا بغتة،(مِنْ قَدُومٍ)، بفتح القاف،أي: طرَف، (ضَالٍ)، قِيل: جبل لدوس قبيلة أبي هريرة ،(يُعَيِّرُنِي)، أي: يطعنني ويعيبوني (بِقَتْلِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ أَكْرَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى يَدَيَّ) بأن وصل مرتبة الشهادة ، (وَلَمْ يُهِنِّي عَلَى يَدَيْهِ) فإن كان هو قتلني قُتلت كافرًا وأدخلت جهنم.[٤]

---

(١) أبان بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي ، أمه هند بنت عبد المغيرة المخزومي . أسلم بعد الحديبية وحسن اسلامه، استعمله النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ على البحرين، قيل: قتل يوم أجنادين في جمادى الأولى سنة اثنتي عشرة في خلافة أبي بكر الصديق، وقيل: غير ذلك .(أسد الغابة، ص: ٧ــ٩)

(٢) هو النعمان بن مالك بن ثعلبة بن دعد الخزرجي الأنصاري ، وثعلبة هو الذي يسمى قوقلًا شهد بدرًا واستشهد يوم أحد.(أسد الغابة، ص: ١١٩٨)

(٣)الوَبْر:والوَبرُ، والأُنثَى وَبرة: دُوَيْبّة غَبْراء على قَدَر السِّنَّوْر، حَسَنَةُ العَيْنين، شَدِيدةُ الحياء، تكونُ بالغَوْر.العين، جـ٨ ، ص: ٢٨٦، مادة: [وب ر] ، وجاء في المعجم الوجيزالوَبْر: حيوان من ذوات الحوافر في حجم الأرنب، أطحل اللون؛ أي: بين الغبرة والسواد ، قصير الذنب، يحرك فكه السفلي كأنه يجتر، ويكثر في لبنان، والأنثى منه: وَبْرة. مادة[وَبرَ] المعجم الوجيز،مجمع اللغة العربية، مصر، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٤م، ص: ٤١٩

(٤) بذل المجهود،جـ١٢، ص:٣١٨، ٣١٩

« يَا عَجَبًا لِوَبْر! قدْ تَدَلَّى عَلَيْنَا مِنْ قدُومِ ضَالِ »

خرج النداء ــ هنا ــ عن معناه الحقيقي من طلب الإقبال إلى إظهار التعجب من قول أبي هرير، فكأنه قال: تعال ياعجب، وأحضر فإنه من أوانك الذي لا ينبغي أن تغيب فيه، فأنظر إلى هذا الرجل شبيه الوَبْر، واسمع مقاله، وقد شاب التعجب القصد إلى توهين شأن المخاطب ، و تحقير قدره." ويفيد نداء مالا يعقل تنبيه المخاطب وتوكيد القصة فإذا قلتَ: يا عجبًا فكأنك قلت: اعجبوا." [١]

٣.الاستغاثة :

الاستغاثة لغة من: غوث، قال الخليل:" يقال : ضرب فلان فغَوَّثَ تغويثا، أي: قال: وا غوثاه، أي: من يُغْيثُني. والغَوْثُ: الاسم من ذلك." [٢]

ويخرج النداء عن معناه الأصلي إلى معنى الاستغاثة، وهي" نمط من أنماط النداء ؛ لأن التصويت بأداة النداء هوالصبغة الغالبة على هذا النمط ، فلو حذف حرف النداء لزال مفهوم الاستغاثة أصلًا".[٣]

هذا وقد عرف النحاة الاستغاثة أنها: نداء موجه إلى من يُخَلِّص من شدة واقعة بالفعل، أو يُعين على دفعها قبل وقوعها . [٤]

ومن نماذج مجئ النداء لغرض الاستغاثة في سنن أبي داود ما يأتي

ــ عَنْ إِيَاسُ بْنُ سَلَمَةَ[٥]،عَنْ أبيهِ، قالَ: «أَغَارَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عُيَيْنَةَ[٦] عَلَى إِبِلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَتَلَ رَاعِيَهَا، فَخَرَجَ يَطْرُدُهَا هُوَ وَأُنَاسٌ مَعَهُ فِي خَيْلٍ، فَجَعَلْتُ وَجْهِي قِبَلَ الْمَدِينَةِ، ثُمَّ نَادَيْتُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ يَا صَبَاحَاهُ، ثُمَّ اتَّبَعْتُ الْقَوْمَ فَجَعَلْتُ أَرْمِي، وَأَعْقِرُهُمْ، فَإِذَا رَجَعَ إِلَيَّ فَارِسٌ جَلَسْتُ فِي أَصْلِ

---

(١)البرهان في علم القرآن ، ص: ٨٤٥

(٢)العين، مادة: [غوث]، جـــ٨، ص: ٤٤٠

(٣)مركب النداء في القرآن الكريم ، ص: ١٢١

(٤)النحو الوافي ، عباس حسن، جـــ٤، ص: ٧٦

(٥) إياس بن سلمة بن عمرو بن الأكوع ، مذكور في ترجمة أبيه، (أسد الغابة، ص: ٥٠٣)

(٦) عبد الرحمن بن عُيينة بن حصن الفزاري (بذل المجهود ، جـــ ١٢، ص: ٣٧٠، ٣٧١)

شَجَرَةٍ حَتَّى مَا خَلَقَ اللَّهُ شَيْئًا مِنْ ظَهْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا جَعَلْتُهُ وَرَاءَ ظَهْرِي...» (أبوداود ــ ٢٧٥٢)

كان لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ عشرون لقحة، وهي ذوات اللبن القريبة العهد بالولادة ترعى بالغابة فأغار عليهم عبدالرحمن بن عُيينة بن حصن الفزاري ، وهو رأس المشركين، فقتَل راعيها واستاقها، فقام سلمة بن الأكوع وتوجه تلقاء المدينة ونادى بأعلى صوته(يا صباحاه)، وهذه كلمة يقولها المستغيث، فكأن القائل (يا صباحاه) يقول: قد غشينا العدو في وقت الصباح ، فتبعه حتى استنقذها منه. (١)

« يَا صَبَاحَاهُ، »

النداء ــ هنا ــ خرج إلى معنى طلب الغوث لما حلَّ بالمسلمين من فجيعة بأخذ إبل النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ واسْتُعْمِل (يا) من بين سائر حروف النداء في الاستغاثة لأنها " تحتاج إلى مد الصوت الذي تحققه(يا) إذ المدّ أعون على إسراع الإجابة المحتاج إليها المستغاث له، وأن الاستغاثة ليست نداءً عاديًا محضًا الغرض منه مجرد إقبال المخاطَب، وإنما هو نداء مصحوب بطلب التخليص من شدة ، أو العون على دفعها ؛ ولهذا خُصّ بأم أدوات النداء وأقواها وهي (يا)." (٢)

٤.الندبة:

الندبة لغة من: نَدَبَ، قال الخليل :" والنادِبةُ تندُبُ بالميت بحسن الثناء: وا فلاناه، وا هناه، والنُّدبةُ الاسْمُ." (٣)

فالندبة أسلوب يتحقق بمدّ الصوت بوساطة أداة النداء التي تحيل على منادَى يُسمَّى المندوب لما في الصوت الممدود والمنادَى عليه من نبر يدل على الحزن والتأسف والأسى، والمندوب هو المُتفجَّع عليه أو المُتوجَّع منه، وهو محل الألم، أو المتوجع له وهو سبب الألم، بوساطة(وا) أو(يا) فالمندوب مدعو،

(١) بذل المجهود ، جـ ١٢، ص: ٣٧٠، ٣٧١
(٢) مركب النداء في القرآن الكريم ، ص: ١٢١
(٣) العين ، مادة:[ندب] ،جـ٨ ، ص: ٥١

لكن على معانى غير معنى النداء، ويُختتم بألف، أو ألف وهاء، ليكون المندوب بين صوتين مديدين، فيكون أكثر تناغمًا مع معنى الندبة. [1]

ومن نماذج مجئ النداء لغرض الندبة في سنن أبي داود ما يأتي

ــ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ، قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،فَعَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ،فَقُلْتُ:وَاثُكْلَ أُمِّيَاهُ،مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ؟ فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُمْ يُصَمِّتُونِي .... فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُسَكِّتُونِي لَكِنِّي سَكَتُّ – قَالَ: فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِأَبِي وَأُمِّي مَا ضَرَبَنِي، وَلَا كَهَرَنِي، وَلَا سَبَّنِي، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَحِلُّ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ هَذَا،إِنَّمَا هُوَالتَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ» أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ... (أبوداود ــ ٩٣٠).

« وَاثُكْلَ أُمِّيَاهُ،مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ؟»

(وا) حرف نداء للبعيد مختص بنداء المندوب، والمنادَى (ثُكْل أمِّيَاه) والثُكْل فقد الأم ولدها،والمتكلم يعني نفسه،(أمِّيَاه) مضاف إلى ياءالمتكلم المفتوحة،والألف للندبة، والهاء للسكت.فكأن المنادِي قال: وا فقد ولدها يعني نفسه. يعكس هذا النداء شعور المنادِي بالتوجع والألم، وإظهار الحسرة والندم لوقوعه في الخطأ، ومخالفته الشرع الحنيف بكلامه في الصلاة، ماجعله يتوقع العتاب، أو يترقب العقاب من النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ دلَّ على ذلك السياق."فإن كل حركة نفسية ذات مشاعر تدفع الإنسان إلى التعبيرعنها بنداء ما بطريقة تلقائية، ولو لم يشعر بأن هذا النداء يحقق له مرجوًا أو مأمولًا أو يدفع عنه مكروهًا". [2]

وأشْعُرــ هنا ــ أن المنادِي بسبب ما انتابه من شعور بالحسرة والألم وحصول الندم مع ترقب العتاب، أوالعقاب صار يُنادِي موته وهلاكه، يا موتي، وياهلاكي، أقبل فهذا أوانك الذي لا ينبغي أن تغيب فيه، فمن فرط ما هو فيه صار يتخيل أن الموت والهلاك يسمعان ويجيبان فناداهما على طريقة الندبة.

(1) مركب النداء في القرآن الكريم ، ص: ١٢٧

(2) البلاغة العربية أسسها، وعلومها، وفنونها، جـــ١، ص: ٢٤١

٥- التَّحَسُّروالأسف:

يخرج النداء لإفادة معنى التحسر والحزن والألم . ويكون بمِّد الصوت تعبيرًاعن تأوه داخلي في النفس.[١]

ــ عَنِ الْأَقْرَعِ[٢] ، مُؤَذِّنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ: بَعَثَنِي عُمَرُ إِلَى الْأَسْقُفِّ[٣] ، فَدَعَوْتُهُ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: «وَهَلْ تَجِدُنِي فِي الْكِتَابِ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «كَيْفَ تَجِدُنِي؟» قَالَ: أَجِدُكَ قَرْنًا، فَرَفَعَ عَلَيْهِ الدِّرَّةَ، فَقَالَ: «قَرْنٌ مَهْ؟» فَقَالَ: قَرْنٌ حَدِيدٌ، أَمِينٌ شَدِيدٌ، قَالَ: «كَيْفَ تَجِدُ الَّذِي يَجِيءُ مِنْ بَعْدِي؟» فَقَالَ: أَجِدُهُ خَلِيفَةً صَالِحًا غَيْرَ أَنَّهُ يُؤْثِرُ قَرَابَتَهُ، قَالَ عُمَرُ: «يَرْحَمُ اللَّهُ عُثْمَانَ، ثَلَاثًا»، فَقَالَ: «كَيْفَ تَجِدُ الَّذِي بَعْدَهُ؟» قَالَ: أَجِدُهُ صَدَأَ حَدِيدٍ، فَوَضَعَ عُمَرُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ فَقَالَ: «يَا دَقْرَاهُ، يَا دَقْرَاهُ»، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّهُ خَلِيفَةٌ صَالِحٌ، وَلَكِنَّهُ يُسْتَخْلَفُ حِينَ يُسْتَخْلَفُ، وَالسَّيْفُ مَسْلُولٌ وَالدَّمُ مُهْرَاقٌ، قَالَ أَبُو دَاوُدَ: " الدَّقْرُ: النَّتْنُ " (أبوداود ــ ٤٦٥٦).

بعث عمر بن الخطاب مؤذنه إلى الأسقف، وهو رئيس النصارى وعالمهم، وهو كعب الأحبار، فلما حضر قال عمر:هل تجدني في الكتاب؟ أي: تجد ذكري في التوراة ،قال نعم ، قال عمر كيف تجدني؟قال الأسقف: أجدك قرنًا ، فرفع عليه الدرة ملاطفة وتطييبًا، ولم يرد أن يضربه، فسأله عمرعن القرن فقال: قرن حديد، أي: حصن حديد أمين شديد، أي : ذو أمانة شديد في أمر الله لا يخاف لومة لائم، فسأل عمر ــ رضي الله عنه ــ عن الذي بعده، فقال الأسقف: خليفة صالح لكنه يُرجِّح قرابته، فقال عمر يرحم الله عثمان ثلاثًا ، ثم سأل عمر عن الذي بعده، فقال كعب: أجده صدأ حديد، أي: وسخه، والمراد أنه لكثرة مباشرته بالسيف ومحاربته به يتوسخ به بدنه ويداه حتى يصير كأنه عين الصدأ، فوضع عمر يده على رأسه وقال يادفراه يا دفراه، أي: يانتناه،

---

(١) السابق، جـ١،ص:٢٤٧

(٢) الأقرع: مؤذن عمر بن الخطاب

(٣) كعب الأحبار هو: كعب بن ماتع الحميري اليماني ، العلَّامةالحَبْر الذي كان يهوديًا فأسلم بعد وفاة النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وقدم المدينة من اليمن أيام عمر بن الخطاب، وكان حَسَن الإسلام متين الديانة ، وكان خبيرًا بكتب اليهود ، سكن الشام ، وكان يغزو مع الصحابة ، توفي بحمص ذاهبًا للغزو آخر خلافة عثمان ــ رضي الله عنه ــ (تهذيب السير، ص: ٣٠١، ٣٠٢)

فقال كعب مفسرًا له المراد : يا أمير المؤمنين إنه خليفة صالح ولكنه يُستَخلف حين يُستَخلف والسيف مسلول والدم مهراق، وكان عمر يعلم من سيكون خليفة بعده، ولا علم له إلا من النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وسؤاله الأسقف لمزيد الاحتياط والاطمئنان لا ليعلم القصة. (١)

« يَا دَقْرَاهُ، يَا دَقْرَاهُ »

خرج النداء ــ هنا ــ عن معناه الحقيقي، إذ ليس المقصود نداء النتن واستحضاره، فهو مما لا يمكن أن تتأتى منه الإجابة، وإنما النداء ــ هنا ــ تعبير عما وقع في نفس عمر من شعورعميق بالحسرة والحزن والألم على ما سوف يصير إليه حال المسلمين من فرقة واختلاف؛ ما يدفعهم إلى التقاتل والتناحر فيما بينهم ، ولا يَسْلَم حينها خليفة المسلمين من أن تمسه تلك الدماء على الرغم من صلاحه، وذلك؛ لأنه حين يتولى الخلافة يكون السيف مسلول والدم مراق، وهو إشارة إلى خلافة علي بن أبي طالب، ووقوع الفتنة في زمانه . وقد عبر عمرعن حسرته وحزنه بنداء النتن تناسبًا مع قول كعب الأحبار: صدأ حديد ، أي: وسخه . ويُفهَم من نداء عمر للنتن في مقام التحسر والأسف تعظيم الأمر. وذلك لأن " العرب إذا اجتهدت في الإخبار عن عظيم تقع فيه جعلته نداء، فلفظه لفظ ما يُنبَّه به والمنبَّه غيره." (٢) ، ويجوز أن يكون النداء في قوله: يا دفراه، للندبة، واستعمال (يا) في الندبة جائز عند أمن اللبس، ويستفاد معنى الندبة من التوجع النفسي الذي أحس به سيدنا عمر بن الخطاب بسبب ما سوف ينتهي إليه أمر المسلمين، وهو المعروف بحرصه على مصالح الأمة.

٦ــ الدعاء: الدعاء لغة من: "دعو: دعوت فلانًا، و بِفُلان: نَاديْتَه، وصِحْتُ به، ومَا بالدَار دَاع، ولامُجِيب . والنادبة تَدْعو المَيت: تَندبه." (٣) فالدعاء بمعنى النداء، وهو من المخلوق إلى الخالق تضرعًا، وتذللًا، وعبادة.

(١) بذل المجهود، جـــ١٨، ص: ١٨١، ١٨٢، وعون المعبود، جـــ١٢، ص: ٤٠٨، ٤٠٩
(٢) معاني القرآن وإعرابه: الزجاج، جـــ٤،ص:٢١٤
(٣) أساس البلاغة، للزمخشري، مادة[دعو] جـــ١،ص:٢٨٨

ــ عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِائَةَ مَرَّةٍ :« رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ » (أبوداود ــ ١٥١٦)

٤ــ عَنِ ابْنِ عُمَرَ[١]، قَالَ: إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِائَةَ مَرَّةٍ :«رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ » (أبوداود ــ ١٥١٦)

كان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ كثير الاستغفار، ولعل ذلك" بسبب ما يغشاه من السهو الذي لا يخلو منه البشر[٢]" وذلك لأن قلبه ــ صلى الله عليه وسلم ــ" كان مشغولاً بالله تعالى ، فإن عَرَضَ وقتًا ما عارض بشري يشغله عن أمور الأمة والملة ومصالحها عَدَّ ذلك ذنبًا وتقصيرًا، فيفزع إلى الاستغفار ... وهو وإن لم يكن ذنبًا لكن من حيث أنه بالنسبة لسائر أحواله نقص وهبوط يشابه الذنب، فيناسبه الاستغفار [٣]"

« رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ .... »

ربِّ: منادَى حذفت منه الأداة ، لكثرة الاستعمال كما أن حذف أداة النداء فيه تيسير وتخفيف على الداعين لكثرة حاجة الخلق إلى دعاء الخالق[٤]"، وهو منادَى مضاف إلى ياء المتكلم المحذوفة تخفيفًا لكثرة الاستعمال. وقد عدَّ النحاة حذف الياء هو الوجه الأكثر والأجود والمختار فيها ؛ وذلك لأن النداء باب حذف وتغيير ولا يخل حذفها بالمقصود إذ يبقى في اللفظ ما يدل عليها وهو (الكسرة) قبلها.[٥] والمقصود من النداء ــ هنا ــ دعاء الرب والتماس المغفرة، وقبول التوبة. وإضافة ياء المتكلم إلى المنادَى دليل

(١) عبد الله بن عمر بن الخطاب، الإمام القدوة، أسلم صغيرًا، وهاجر مع أبيه، شهد الخندق، وبايع تحت الشجرة ،قيل أنه مات سنة ثلاث وسبعين.(تهذيب السير،جـــ١، ص:٢٢٥، وما بعدها)

(٢) معالم السنن ، جـــ٢، ص: ١٢٠

(٣) المنهل العذب ، جـــ٧، ص: ٢٧١

(٤) الأساليب الانشائية في شعر محمود حسن إسماعيل، ص:٢٦٩

(٥)الكتاب، لسيبويه، جـــ٢، ص:٢٠٩ ،وشرح ابن عقيل ،جـــ٢،ص:٢١٦، والمقتضب للمبرد، جـــ٤، ص:٢٤٥

المجاملة واللطف والرفق واللين والأدب الجميل والخلق الحسن، كما أنها تفيد التوسل إلى المخاطَب واستعطافه[1]. وهذا ما يتناسب مع مقام دعاء الرب والتماس المغفرة منه وقبول التوبة في مقام اتهام الداعي لنفسه بالغفلة والشعور بالتفريط . فالغرض من النداء هو الدعاء وطلب الإجابة لا طلب الإقبال.

وقد يخرج النداء إلى أغراض أخرى غيرالتي ذُكِرَت، والتي يمكن للبلغاء، وأصحاب الذوق السليم، والحس المرهف ــ استنباطها بمعونة قرائن الحال والمقال.

المراجع

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.
- الإتقان في علوم القرآن : للسيوطي ، خرج أحاديثه، الشيخ/ شعيب الأرنؤوط، واعتنى به و علق عليه: مصطفي شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة، دمشق – سوريا، و بيروت ــ لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٢٩هـ ــ ٢٠٠٨م
- أساس البلاغة الزمخشري: تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميةـ بيروت ــ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ ــ ١٩٩٨م.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة للإمام عز الدين أبي الحسن ابن الأثير، دار ابن حزم ، بيروت ــ ابنان ــ الطبعة الأولى ، (١٤٣٣ هـ ــ ٢٠١٢م)
- الأساليب الانشائية في شعر محمود حسن إسماعيل، ماجستير، إعداد الطالب/ياسر عبد المطلب الشورى، إشراف د/صبَّاح عبيد دراز، كلية اللغة العربية ــ إيتاي البارود. ١٤٢٤هـ /٢٠٠٤م.
- بذل المجهود في حل سنن أبي داود، تأليف الشيخ/خليل أحمد السهارنفوري، مع تعليق الشيخ/محمد زكريا بن يحيى الكاندهلوي، دار الكتب العلمية بيروت ــ لبنان، (د، ط)، (د، ت).

(1) الكشاف للزمخشري، جـ٢، ص:٥١٠،٥١١

- البرهان في علوم القرآن: بدر الدين الزركشي ، تحقيق: أبي الفضل الدمياطي، دار الحديث ــ القاهرة ــ مصر، (د، ط)، ١٤٢٧هـ ــ ٢٠٠٦م
- البلاغة العربية :أسسها، وعلومها، و فنونها، وصور من تطبيقاتها بهيكل جديد من طريف و تليد: عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم ــ دمشق ــ سوريا والدار الشامية بيروت ــ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦ .
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة: جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت ــ لبنان، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ ــ
- البلغة في أئمة النحو واللغة: محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: محمد المصري، جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ .
- البيان النبوي د/ محمد رجب البيومي ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة ــ الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ ــ ١٩٨٧م .
- تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ.
- جماليات الأسلوب في النصوص الوعظية في العصر العباسي ، د/ علاء الدين محمد رشيد، كلية اللغات ــ قسم اللغة العربية، جامعة صلاح الدين، أربيل ، مجلة كلية الآداب، العدد ١٠٢ .
- دلالات التراكيب، دراسة بلاغية، د/محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة ــ مصر، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ ــ١٩٨٧م
- رؤى في البلاغة العربية دراسة تطبيقية لمباحث علم المعاني، د/ أحمد محمود المصري ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية ــ الطبعة الأولى: ٢٠٠٨م.
- سنن أبي داود، لسليمان بن الأشعث أبي داود السجستاني، بترقيم الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد، دار ابن الجوزي، القاهرة ــ الطبعة الأولى،١٤٣٢هـ ــ ٢٠١١م.

- شرح بن عقيل على ألفية ابن مالك ، تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد، نشر و توزيع – دار التراث – القاهرة، الطبعة العشرون – ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م.
- صحيح البخاري بشرح الكرماني، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية ، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.
- الطراز، يحيى بن حمزة العلوي، دار الكتب الخديوية ، طبع بمطبعة المقتطف بمصر ـ (د ـ ط)١٣٣٢هـ ـ ١٩١٤م.
- عون المعبود شرح سنن أبي داود، للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي ، مع شرح الحافظ ابن قيم الجوزية، تحقيق/ عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ/ ١٩٩٦م.
- العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي ، تحقيق الدكتور/مهدي المخزومي، والدكتور/إبراهيم السامرائي، مؤسسة الهجرة، إيران،(د، ط) ١٤٠٩،هـ
- الفهرست لابن النديم، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ـ لبنان ـ (د ـ ط) ، (د ـ ت) .
- الكتاب : لسيبويه ، شرح، و تحقيق/ عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجى- القاهرة، الطبعة الثالثة- ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.
- كفاية المُعَاني في حروف المَعَاني، الشيخ/عبدالله الكردي البيتوشي، شرح وتحقيق: شفيع برهاني، دار اقرأ ، دمشق ـ سوريا، الطبعة الأولى: ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.
- الكشاف للزمخشري، تحقيق: الشيخ/ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ/ علي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولي: ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م
- الكشاف بتعليق : خليل مأمون شيحا، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م.
- المدخل إلى دراسة بلاغة أهل السنة، د/ محمد بن علي الصامل، كنوز اشبيليا للنشر و التوزيع، الطبعة الثانية ـ الرياض ـ السعودية، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

- مركب النداء في القرآن الكريم بين المعاني النحوية ، ودلالة الخطاب، دكتوراه، إعداد/ محمد مشري، إشراف الدكتور/ سامي عبد الله أحمد الكناني، قسم اللغة العربية بكلية الآداب واللغات ــ منتوري ــ قسنطينة ــ الجزائر، ١٤٣٠هـ ــ ٢٠٠٩م .
- معالم السنن : للخطابي، طبعه و صححه/ محمد راغب الطباخ، مطبعة حلب، الطبعة الأولى،١٣٥١هـ -١٩٣٢م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ــ المكتبة العصرية ــ صيدا بيروت ــ لبنان (د، ط)،١٤١١هـ ١٩٩١م.
- المقتصد في شرح الايضاح: عبد القاهر الجرجاني ،تحقيق: د/ كاظم بحر المرجان، منشورات وزارة الثقافة و الاعلام بالعراق، دار الرشيد للنشر، (د ــ ط)، ١٩٨٢م.
- المقتضب : لأبي العباس المبرد ، تحقيق/ محمد عبد الخالق عظيمة، مطابع الأهرام التجارية- قليوب- مصر، الطبعة الثالثة – ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.
- المنهل العذب المورود في شرح سنن أبي داود ــ محمود خطاب السبكي
- النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة، والحياة اللغوية المتجددة: عباس حسن، دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة، ١٩٧٤هـ.
- النداء في اللغة والقرآن: الدكتور/ أحمد محمد فارس ، دار الفكر اللبناني، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- نذهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين محمد ابن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ــ ٧٤٨ هـ) محمد حسن عقيل موسى دار الأندلس للنشر و التوزيع ــ جدة ــ السعودية ــ (د ــ ط)، (د.ت).